

التوجيه الدلالي لحروف المعاني في تراث الإمام المغيلي (ت909هـ)

**The Semantic Orientation of the Letters of Meanings
in the Heritage of Imam al-Maghīlī (d. 909 AH/ 1505 AD)**

فاطمة برماتي^{1*}، إدريس بن خويا²

¹ جامعة أحمد درايعة أدرار، (الجزائر)، f.bermati@univ-adrar.edu.dz

² جامعة أحمد درايعة أدرار، (الجزائر)، benkhoia.idriss@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2023/08/12 تاريخ القبول: 2024/01/16 تاريخ النشر: 2024/03/31

ملخص: ومما لاشك فيه أن الدراسات النحوية تُعد من أولى الجهود اللغوية التي حظيت باهتمام لدى العلماء القدامى، وهذا راجع إلى تتبع الأخطاء النحوية في التراكيب، وكلما استقام الجانب الإعرابي مثلاً في التركيب أو الجملة كلما اتضح المعنى وسهل الوصول إلى المقصود المعبر عنه، وكلما كثرت الأخطاء في فهم دلالات حروف المعاني وتلويحاتها الدلالية، كلما أدى إلى عدم الفهم الصحيح لمقاصد التركيب، وهو ما وقف عنده الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي استشهداً ودراسةً.

كلمات مفتاحية: المغيلي؛ النحو؛ التركيب؛ حروف؛ المعاني.

Abstract: There is no doubt that grammatical studies are considered amongst the first linguistic efforts that attracted the attention of ancient scholars. This is due to tracking the grammatical mistakes in the structures. The more correct the syntactic aspect, for example in a structure or in a sentence, the more clear the meaning expressed. On the other hand, the more mistakes there are in understanding the connotations of the letters of the meanings and their varieties, the more it leads to a lack of understanding of the purposes of the structure. This is what Imām Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī referred to through quotation and study.

Key words: al-Maghīlī ; Syntax; Structure; Letters; Meanings.

مقدمة:

لقد أولى العلماء القدامى أهمية كبرى للحروف لما لها من أثر في تحديد المعنى المقصود، وإذا كان يُشترط على المفسر أو الفقيه الإمام بأمور اللغة والتبصر فيها، فهذا لا يستثني الإمام بدلالات حروف المعاني رغم تشعبها وتنوعها، فكم من مسألة فقهية اتضح حكمها من خلال الفهم الحقيقي للدلالة الحرف الموظف في النص الشرعي؛ لأن الحكم - كما يرى عبد السلام طويلة: « الذي يدل على النص يختلف باختلاف معنى الحرف الذي يتضمنه، وقد اختلف العلماء في معان حروف كثيرة، ونشأ من ذلك اختلاف في المسائل الفقهية التي تدار عليها وفي التفرع » (طويلة، 2010م، صفحة 193)، فكلما صُعب فهم معنى الحرف في النص الشرعي، كلما صُعب على الفقهاء الوصول إلى الحكم المستنبط.

1- مفهوم الحرف

تكاد تُجمع المعاجم العربية القديمة أن الحرف من حيث مفهومه اللغوي هو الطرف والجنب والحد والوجه، حيث يقول ابن فارس: « الحَاءُ الرَّاءُ وَالْفَاءُ ثَلَاثَةُ أَصُولٍ: حَدُّ الشَّيْءِ، وَالْعُدُولُ، وَتَقْدِيرُ الشَّيْءِ. فَأَمَّا الْحُدُّ فَحَرْفٌ كُلُّ شَيْءٍ حَدُّهُ، كَالسَّيْفِ وَغَيْرُهُ. وَمِنْهُ الْحَرْفُ، وَهُوَ الْوَجْهُ. تَقُولُ: هُوَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، أَيْ طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ (الحج، الآية 11)؛ أَيْ عَلَى وَجْهِ وَاحِدٍ.. وَيُقَالُ لِلنَّاقَةِ حَرْفٌ. قَالَ قَوْمٌ: هِيَ الضَّامِرُ، شَبَّهَتْ بِحَرْفِ السَّيْفِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ الضَّخْمَةُ، شَبَّهَتْ بِحَرْفِ الْجَبَلِ، وَهُوَ جَانِبُهُ... الْمَحْرَافُ: حَدِيدَةٌ يُقَدَّرُ بِهَا الْجِرَاحَاتُ عِنْدَ الْعِلَاجِ... وَرَعِمَ نَاسٌ أَنَّ الْمُحَارَفَ مِنْ هَذَا، كَأَنَّهُ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ كَمَا تُقَدَّرُ الْجِرَاحَةُ بِالْمَحْرَافِ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ فَلَا نَ يُحْرَفُ لِعِيَالِهِ، أَيْ يَكْسِبُ ». (ابن فارس، 1979م، ج2، صفحات 24-43)

ويقول ابن منظور: « والحَرْفُ في الأصل الطَّرْفُ والجَانِبُ وبه سُمِّيَ الْحَرْفُ من حروف الهجاء... ومنه حَرْفُ الجبل وهو أعلاه المَحْدَدُ... حرف كل شيء ناحيته كحرف الجبل والنهر والسيف ». (ابن منظور، 1414هـ، ج9، صفحة 41)

وأما من حيث الاصطلاح فقد حدّ بتعاريف كثيرة، ومن أحسنها كما يقول المرادي (ت749هـ): « الْحَرْفُ كلمة تدل على معنى في غيرها فقط » (المرادي، 1983م، صفحة 20)،

والقصد بذلك « يخرجُ به الفعل، وأكثر الأسماء؛ لأن الفعل لا يدل على معنى في غيره، وكذلك أكثر الأسماء ». (المرادي، 1983م، صفحة 21)

وإذا كان الحرف لا يدل على معنى في نفسه وإنما في غيره فقط حسب مفهوم المرادي له، وكغيره من النحاة، فإننا نجد الإمام المغيلي هو الآخر لا يخرج عن هذا الإطار الذي رسمه الدارسون قبله من النحاة -مثلاً- في تحديد مفهومه، وإن كان قد نظر إليه من زاوية الثقافة المنطقية، وذلك لما يقول: « الحَرْفُ ... أنه لا معنى له في نفسه » (المغيلي، 2006م، صفحة 35)، وإنما يدل معناه في غيره.

إن المتتبع للحرف وأقسامه سيجد لا محالة أن الحروف نوعان؛ منها حروف المباني؛ وهي التي تدخل في بنية الكلمة أو التي تتركب منها الكلمات، وسميت بذلك لبناء الكلمة عليها وتركيبها منها، وتسمى حروف التهجي أيضاً. وأما حروف المعاني فهي التي تدل على معاني جزئية وضعت أو استعملت فيها، وهي تربط بين جزأين، ولها -أيضاً- معاني تبعية، فلا تستعمل بالمعقولة، باعتبارها تدل على معنى في غيرها، ولا تكون ركناً في الكلام إلا مع ضمنية، وبذلك سميت بهذا الاسم لأنها موضوعة لمعان تتميز بها من حروف المباني. (دياب، 2000م، صفحة 06)

ولأهمية حروف المعاني يضيف المرادي قائلاً: « فإنه لما كانت مقاصدهم كلام العرب على اختلاف صنوفه، مبنياً أكثرها على معاني حروفه، صُرِّفَ الهممُ إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قِلَّتِها، تيسَّرَ الوقوف على جملتها، وقد كثر دورها، وبُعْدُ غورها، فعزَّت على الأذهان معانيها، وأبَتِ الإذعانَ إلا لمن يعاينها » (المرادي، 1983م، صفحة 19) ؛ فهو تأكيد على اهتمام النحاة بهذا الجانب قصد فهم كلام العرب، وهي حقيقة أكَّدها من قبل المالقي (ت706هـ) في أهميتها، فهي « أكثر دوراً، ومعاني معظمها أشدُّ غوراً، وتركيب أكثر الكلام عليها، ورجوعه في فوائده إليها ». (المالقي، 2002م، صفحات 78-79).

2- أنواع حروف المعاني

ومن العناية بحروف المعاني في تراث الإمام المغيلي نجد الآتي:

أ- أحرف العطف

حروف العطف تسعة، وهي: "الواو، والفاء، وثم، وحتى، وأو، وأم، وبل، ولا، ولكن"، ومنها عند الإمام المغيلي نجد:

أ-1: حرف الواو

وصلت معاني الواو إلى خمسة عشر معنى حسب ابن هشام والمرادي، ومنها: العطف، والزائدة، والمعية.. (ابن هشام، 2007م، صفحة 337)

وهي تكون للجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم والإعراب جمعاً مطلقاً، ففي مثل (جاء عليٌّ وخالدٌ)؛ أي اشتراكهما في حكم المحييء سواء أكان عليٌّ قد جاء قبل خالد، أم العكس، أم جاء معاً. (الغلاييني، 2013م، صفحة 590)

ومما ذهب إليه الإمام المغيلي في أن الواو حرف عطف لمطلق الجمع، ولا تفيد المعية ولا الترتيب في مثل الواو الواقعة من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ نَعْبُدُ وَإِنَّكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة، الآية 05)، حيث نجده يقول: «فمعنى نعبد: نُقِيمَ الشرع والأوامر مع تذلل واستكانة... ومعنى نستعين: نطلب العون منك في جميع أمورنا قبل العبادة ومعها، وبعدها؛ لأن (الواو) هنا حرف عطف، فهي لمطلق الجمع من غير معية ولا ترتيب». (بوريق، 2013م، صفحة 230)

ومن ذلك -أيضاً- ما يوضحه الإمام المغيلي في العطف بالواو الذي أفاد التفصيل والاختصار لا الترتيب والمعية، حيث يقول: «قصّد التفصيل مع اختصارٍ في التعبير كقولك: جاء زيدٌ وعمروٌ، فإن فيه تفصيل الفاعل من غير تعرّضٍ لترتيب ولا معية» (المغيلي، 2010م، صفحة 162)؛ باعتبار أن الواو يمكن أن تأتي بمعنى المعية (مع)، ولكنها في هذا الموضع أتت لمطلق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، وليس للترتيب، وهذا ما يدل على الاطلاع الواسع للشيخ المغيلي في الخلاف الدائر بين العلماء في أن الواو تفيد الترتيب أو لا. (ابن القيم، 2005م، ج1، صفحة 71)، ولكنه لم يشأ التطرق إلى ذلك الخلاف، فنبّه على أنها لا تفيد الترتيب في المثال المستشهد به سابقاً (جاء زيدٌ وعمرو)، فهما اشتركا في المحييء سواء أكان زيد قد جاء قبل عمرو أم

العكس، أم جاء معاً. وسواء أكان هناك وقت زمني معيّن بين مجيئهما أم لم يكن، وبالتالي حدوث التفصيل مع اختصار في التعبير بين الاسمين.

أ-2: حرف الفاء

الفاء حرف مهمل، وأصول أقسام الفاء ثلاثة: عاطفة، وجوابية، وزائدة، وأما العاطفة فهي من الحروف التي تُشرك في الإعراب والحكم، ومعناها التعقيب، وأنها تفيد الترتيب؛ أي الاتصال لا الانفصال، فإذا قلنا (جاء عليّ فسيحاً)، فالمعنى أن (عليّاً) جاء أولاً، وكان بين مجيئهما مهلة، فهي هنا للترتيب والتعقيب. (المرادي، 1983م، صفحات 61-63)

وفي ذلك يقول الإمام المغيلي في إفادة (الفاء) الترتيب والتعقيب: « قولك: جاء زيدٌ فعمرو... فإن فيه تفصيل الفعل من جهة ملابسته للتابع بعد مُلابسته للمتبوع » (المغيلي، 2010م، صفحة 162)؛ أي أنه وجب الفصل بدخول (الفاء) التي ميّزت بها التابع والمتبوع، وذلك لتبيّن أنّ (عمرو) جاء بعد (زيد)، وليس قبله، ولكن جاء بعده مباشرة وبمهلة قصيرة، وبالتالي فإن (الفاء) أفادت الترتيب والتعقيب هنا.

أ-3: حرف "ثم"

هو حرف عطف، ولكنه يشرك في الحكم، ويفيد الترتيب والمهل، ففي مثل الترتيب والتراخي قولنا: جاء عليّ ثم سعيدٌ، معناه أن سعيداً جاء بعد علي، وكان بين مجيئهما مهلة. (ابن هشام، 2007م، صفحة 120)

وفي ذلك يقول الإمام المغيلي بخصوص هذا الحرف: « وقولك: جاء زيدٌ فعمرو، أو: ثم عمرو، فإن فيه تفصيل الفعل من جهة ملابسته للتابع بعد ملابسته للمتبوع » (المغيلي، 2010م، صفحة 162)؛ أي هنا تم الفصل مع الاختصار في التعبير الحادث بين المعطوف والمعطوف عليه بدخول حرف (ثم) التي أفادت اشتراك بين المعطوف والمعطوف عليه لفظاً وحكماً، بالإضافة إلى إفادة الترتيب والتراخي في المجيء بمهلة بين زيد وعمرو.

ومثله -أيضاً- في إفادة (ثم) العطف بنجده يقول في جانب من رجزه المخصص للمنطق
قائلاً: (المغيلي، 2013م، صفحة 29)

مُحَمَّد صَلَّى عَلَيْهِ رُتُّنَا ❁ مَا هَبَّ أَوْ كَفَّ الصَّبَا مِنْشَأً.
ثُمَّ عَلَى أَصْحَابِهِ وَآلِهِ ❁ وَمَنْ آتَى مُقْتَفِياً لِحَالِهِ

وهو ما بيّنه في شرحه لقصيدته بخصوص الوقوف على دلالة العطف بـ (ثم) في الصلاة على رسول الله ﷺ، وأن ما بعدها يأتي على أصحابه وفق مبدأ الترتيب والمهلة: «ثم على أصحابه: عطف بـ(ثم) تنبيهاً على أن الصلاة على غيره -عليه الصلاة والسلام- إنما تكون بحكم التبع له، وهو المرتضى» (المغيلي، 2013م، صفحة 39). وهو المعمول به في تقديم الصلاة على أشرف خلق الله ﷺ أولاً، ثم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

أ-4: حرف "حتى"

وله عند البصريين ثلاثة أقسام: «يكون حرف جر، وحرف عطف، وحرف ابتداء، وزاد الكوفيون قسماً رابعاً، وهو أن يكون حرف نصب ينصب الفعل المضارع، وزاد بعض النحويين قسماً خامساً، وهو أن يكون بمعنى الفاء» (المرادي، 1983م، صفحة 452). ولكن في إفادة العطف بما قليل، و«شرط العطف بما أن يكون المعطوف اسماً ظاهراً، وأن يكون جزءاً من المعطوف عليه أو كالجزء منه، وأن يكون أشرف من المعطوف عليه أو أحسن منه، وأن يكون مفرداً لا جملة، نحو: يموت الناس حتى الأنبياء». (الغلاييني، 2013م، صفحة 591)

وإذا كانت هذه شروط العطف الخاصة بحرف (حتى)، التي منها أن يكون المعطوف أشرف أو أحسن من المعطوف عليه بالإضافة إلى الأفراد، فإننا نجد الإمام المغيلي لا يخرج عن هذا الإطار في حديثه عن حرف (حتى) لإفادتها العطف، وذلك لما نجده يقول: «وقولك: جاء القوم حتى العبيد، للدلالة (حتى) على ترتيب ما قبلها ذهنياً؛ من الأقوى إلى الأضعف كالمثال، أو من الأضعف إلى الأقوى كقولك: جاء الناس حتى الخليفة» (المغيلي، 2010م، صفحة 162)؛ باعتبار أن «المعطوف بـ(حتى) شرطان: الأول أن يكون بعض ما قبلها، أو كبعضه، فمثال كونه بعضاً: قدم الحجاج حتى المشاة، ومثال كونه كبعض: قدم الصيادون حتى كلابهم... الثاني: أن يكون غاية

لما قبلها في زيادة أو نقص، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقير» (المرادي، 1983م، صفحات 547-548). وهذا الشرط هو الذي تحدث عنه الإمام المغيلي في أن يكون المعطوف أشرف أو أحسن من المعطوف عليه، وأن يتبادر في ذهن السامع ذلك الترتيب المجيء من الأقوى إلى الأضعف أو العكس.

أ-5: حرف "لكن"

وهو يشرك المعطوف مع المعطوف عليه لفظاً فقط؛ لأنها موضوعة للاستدراك، وبشرط أن يكون معطوفها مفرداً، وأن تكون مسبوقه بنهي أو نفي، وأن لا تقترن بالواو، وأن هذا الاستدراك هو رفع التوهم الناشئ عن السابق، فتُنسب لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها، نحو: "ما جاءني زيد لكن عمرو" إن كان المخاطب يتوهم مجيئه (طويلة، 2010م، صفحة 214)، وهذا ما تحدث عنه الإمام المغيلي في رفع توهم المخاطب أو المستمع حتى لا يلتبس عليه الأمر في قوله: «رد السامع إلى الصواب عن خطأ كقولك: قام زيد لا خالداً، اعتراف أن القائم خالد. وكقولك: ما جاء زيد لكن خالداً، لمن اعتقد أن زيدا جاء دون خالد» (المغيلي، 2010م، صفحة 163)؛ بحيث إنَّ في كلام النحاة أن (لكن) في قولنا: ما جاءني زيد لكن عمرو، لدفع توهم المخاطب أن عمراً -أيضاً- لم يجئ كزيد، بناءً على ملائمة بينهما وملاءمة لأنها للاستدراك؛ باعتبار رفع توهم يتولد من الكلام المتقدم رفعاً شبيهاً بالاستثناء، وهو صريح في أنه إنما يُقدَّر: ما جاء زيد لكن عمرو، ولمن اعتقد أن المجيء مُنتفٍ عنهما جميعاً لا لِمَن اعتقد أن زيدا جاء دون عمرو (المغيلي، 2010م، صفحة 163)؛ أي لكن الاستدراكية أفادت في المثال المستشهد به العطف لفظاً فقط، دون الإشراف في الحكم، مع دفع تلك الملازمة الحاصلة والتي يتوهمها السامع بين المعطوف والمعطوف عليه، وكأنها أفادت معنى الاستثناء بين المعطوفين، وبالتالي يُرد السامع إلى فهم المقصود من الخطاب الواقع في الاستدراك بـ(لكن) بين المعطوف والمعطوف عليه.

أ-6: حرف "بل"

تكون حرف (بل) للإضراب والعدول عن شيء إلى آخر إن وقعت بعد كلام مُثَبِّت، خبراً كان أو أمراً، وللاستدراك بمنزلة "لكن" إن وقعت بعد نفي أو نهي. وأنه لا يُعطف بها إلا بشرط أن يكون معطوفها مفرداً غير جملة. وهي إن وقعت بعد الإيجاب أو الأمر، كان معناها سلب الحكم عما قبلها، حتى كأنه مسكوت عنه، وجعله لما بعدها نحو: قام سليم بل خالداً...

وإن وقعت بعد النفي أو النهي كان معناها إثبات النفي أو النهي لما قبلها، وجعل ضده لما بعدها
نحو: ما قام سعيدٌ بل خليلٍ. (الغلاييني، 2013م، صفحات 592-593)

وهذا ما عبّر عنه الإمام المغيلي بأنها تفيد العدول عن شيء إلى آخر، حيث يقول: «
سرف الحكم على المحكوم عليه أو لا، إلى آخر، كقولك: رأيث زيداً، بل عمرأ، فإن (بل)
للإضراب عن المتبوع وسرف الحكم إلى التابع بأن يجعل المتبوع كالمسكوت عنه يحتمل أن يلايسه
الحكم وأن لا يلايسه، فزيدٌ يحتمل أن يكون مرثياً» (المغيلي، 2010م، صفحة 164)

ولكننا نجد الإمام المغيلي يناقش آراء متعددة في هذا الجانب لا بن الحاجب (ت646هـ)
والمبرد، وفي ذلك يضيف الإمام المغيلي قائلاً: « وفي كلام ابن الحاجب ما يقتضي عدم رؤيته
قطعاً كما لو انصم إليها: رأيث زيداً لا بل خالدً. فإن عطفت (بل) على منفي الحكم عنه
كقولك: ما جاء زيدٌ بل خالدً، فالجمهور على أنه يفيد ثبوت الحكم للتابع مع المسكوت عن
المتبوع، فمعنى ذلك ثبوت الجيء لخالد مع احتمال مجيء زيد وعدم مجيئه. وقيل: يُفيد انتفاء
الحكم عن المتبوع قطعاً» (المغيلي، 2010م، صفحة 164)؛ أي إفادة حكم مجيء خالد فقط،
مع سلب الحكم في مجيء (زيد). باعتبار أن (بل) « إن وليها مفرد في نفي أو نهي كانت مثل
(لكن) تقرر حكمه في كونه منفيّاً أو منهيّاً عنه، وتثبت نقيضه لما بعدها عند الجمهور، نحو ما قام
زيد بل عمرو... أي ما قام زيد بل قام عمرو » (طويلة، 2010م، صفحة 215). غير أن المبرد يرى
وقوع (بل) بعد النهي أو النفي تفيد معنى إثبات النفي أو النهي (المبرد، د ت، ج 1، صفحة 12)،
وفي ذلك نجد الإمام المغيلي يضيف قائلاً: « ومذهب المبرد أن (بل) بعد النفي تفيد الحكم عن
التابع، وأما المتبوع فمسكوت عنه، أو الحكم مثبت له، فمعنى: ما جاء زيدٌ بل خالدً: "بل جاء
خالدً". فعدم مجيء خالد محقق، ومجيء زيد مُحتملٌ أو محققٌ » (المغيلي، 2010م، صفحة 165) ؛
أي أن المبرد أجاز أن تكون (بل) ناقلة لمعنى النفي إلى ما بعدها، وهو قليل الورد عند النحويين
(ابن هشام، 2007م، صفحات 115-116)، غير أن هذا الخلاف وما ذهب إليه جمهور النحاة
وكذا المبرد لا يرجع في آخر الأمر إلا لتوجيه المستمع وسرف نظره إلى الحكم المقصود من طرف
المتكلم حسب ما يراه الإمام المغيلي، وهو ما يوضحه بقوله: « ووجه الإشكال أن حكم المتبوع
نفي، وحكم التابع إثبات، فلم يتحدا. ويمكن أن يُجاب بأن المراد صرفُ التوجه للحكم. فتأمله »

(المغيلي، 2010م، صفحة 165). وهو الغرض من هذا الحرف (بل) الذي هو الإضراب وصرف الحكم إلى آخر.

أ-7: حرف (أو)

إنَّ لحرف (أو) ثمانية معاني؛ منها: الشك، الإبهام، الإضراب، والتقسيم، وبمعنى الواو، وبمعنى (ولا)، والتخيير والإباحة. (عباس، 2000م، صفحة 35)

وإذا عدنا إلى تراث الإمام المغيلي فإننا نجد قد وظّف تلك المعاني الخاصة ب(أو) والتي منها التخيير والإباحة والشك والتشكيك؛ ومن ذلك قوله عن إفادة (أو) معنى الشك: « الشك من المتكلم في تعيين المحكوم عليه، كقولك: جاء زيدٌ أو دَعُدْ، حالة كونك غير عالمٍ بالتعيين » (المغيلي، 2010م، صفحة 165) ؛ باعتبار أن الشك محله الخبر، وحصل الشك من محل الكلام الذي هو الإخبار، فإذا استعملت (أو) في الإخبار دلت على شك المتكلم (طويلة، 2007م، صفحة 207).

وأما عن إفادة (أو) معنى الإبهام على السامع أو ما يسمى بالتشكيك، فإننا نجد الإمام المغيلي يوضح قائلاً: « التشكيك على السامع كقولك: جاء زيدٌ أو خالداً، وأنت تعلم من جاء بعينه، لكن أردت إيقاع السامع في الشك، وقد يعطف للإبهام نحو: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هٰذِي أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبا، الآية 24) » (المغيلي، 2010م، صفحات 165-166)؛ وبالتالي فإن التشكيك واقع من جهة المتكلم، ولكن الغرض أو القصد منه إبهام من جهة السامع، باعتبار أن المتكلم لد دراية تامة عن الذي جاء، وبالتالي فإن الشك من جهة المتكلم، أما الإبهام فهو من جهة السامع.

وأما عن توظيف الإمام المغيلي في إفادة (أو) التخيير والإباحة -أيضاً- فنجده يقول: « التخيير كقولك: خذ ديناراً أو ثوباً. أو للإباحة كقولك: جالس العلماء أو الأولياء » (المغيلي، 2010م، صفحة 166)، فالفرق بين الإباحة والتخيير هو أن الأولى يجوز فيها الجمع بين الشيئين كمجالسة العلماء والأولياء أيضاً، أما الثانية فلا يجوز فيها الجمع كالخيار بين أخذنا للدينار أو للثوب، فهذا عن بعض معاني (أو).

إن الإمام المغيلي لا يقف عند هذا الحد، بل يرشدنا من خلال اطلاعه الواسع إلى أن أحد العلماء يعد (أي) المفسرة من حروف العطف أيضاً، والقصد به السكاكي من خلال كتابه

المفتاح، دون أن يناقش الإمام المغيلي صحة ما ذهب إليه السكاكي، ولكنه ربما اعتبره من الآراء الشاذة، وأراد أن يُبهِنَ إليها فقط، وفي ذلك نجده يقول: « وقد عدَّ السكاكي (السكاكي، 1987م، صفحة 118) من حروف العطف (أي) المفسترة، على أنَّ ما بعدها عطفُ بيانٍ » (المغيلي، 2010م، صفحة 166)، ولكن حسب ما نرى أن هذا الرأي الذي تزعمه السكاكي هو من الآراء المشهورة من لدن النحاة الكوفيين، وهو ما نجده حسب المرادي -أيضا- في قوله: « وزاد بعضهم ل (أي) قسماً ثالثاً وهو أن تكون حرف عطف، وذلك إذا وقع بين مشتركين في الإعراب، نحو: "هذا الغضنفر؛ أي الأسد"، وكونها حرف عطف هو مذهب الكوفيين، وتبعهم ابن السكاكي الخوارزمي من أهل المشرق، وأبو جعفر بن صابر من أهل المغرب، والصحيح أنها تفسيرية وما بعدها عطف بيان » (المرادي، 1983م، صفحة 234)، بل واستحسن رأي الكوفيين حسن عباس (حسن، د ت، ج3، صفحة 557) أيضاً، وخالفهم في ذلك ابن هشام. (ابن هشام، 2007م، صفحة 106).

ب- أحرف الجر:

ومن هذه الأحرف في تراث المغيلي نجد:

ب-1: حرف "من":

تأتي لمعانٍ كثيرة، ومنها: ابتداء الغاية، والتبويض، وبيان الجنس... (المرادي، 1983م، صفحات 308-3018)

وفي إفادة (من) معنى ابتداء الغاية نجد الإمام المغيلي يوضح ذلك بقوله: « وفي الحرف متعلّقٍ معناه... والمراد متعلّق معنى الحرف ما يعبرُّ به عند تفسير معانيه، كقولك: (من) معناها ابتداء الغاية... فابتداء الغاية... ليست من معاني الحروف، وإلا لما كانت حروفاً؛ لأن الاسمية والحرفية إنما هي باعتبار المعنى، وإنما هي مُتعلّقاتُ معانيها » (المغيلي، 2010م، صفحات 286-287)؛ لأن من حروف الجر ما هو مشترك بين الحرفية والاسمية؛ أي في حروف "الكاف، وعن، وعلى، ومُذ، ومُنذ"، ومنها ما هو مشترك بين الحرفية والفعلية، وهو في " خلا، وعدا، وحاشا"، ومنها ما هو ملازم للحرفية، ويشمل ذلك في الحروف المتبقية. (الغلاييني، 2013م، صفحة 532)

ب-2: حرف "في":

وهي تأتي لعدة معانٍ، منها: الظرفية، والسببية والاستعلاء... (المرادي، 1983م، صفحات 250-252)

ونجد من معانيها في تراث الإمام المغيلي إفادة معنى الظرفية، حيث يقول: « وفي الحرف لمتعلّقٍ معناه... والمراد لمتعلّق معنى الحرف ما يعبّرُ به عند تفسير معانيه، كقولك:... (في) معناه الظرفية... والظرفية... ليست من معاني الحروف، وإلاّ لما كانت حروفاً؛ لأنّ الاسمية والحرفية إنما هي باعتبار المعنى، وإنما هي مُتعلّقاتُ معانيها » (المغيلي، 2010م، صفحات 286-287)، وذلك في مثل قولنا: "الطعام في الصحن" في إفادة الظرفية المكانية.

ب-3: حرف " على ":

ويحمل عدة معانٍ، منها: الاستعلاء، التعليل، المصاحبة... (المرادي، 1983م، صفحات 476-478)

وإذا كان من معاني حرف (على) الاستعلاء، فإننا نجد الإمام المغيلي هو الآخر أشار إلى هذا المعنى، وذلك من خلال تفسيره لسورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة، الآية 07)، حيث يقول: « و"عليهم" حرف جر، يُشعر بمعنى الاستعلاء، وضمير جمع المنعم عليهم » (خديرو، 2013م، صفحة 62)؛ أي أن (على) هي من الحروف الجارة، ولكنها في هذا النص القرآني أفادت معنىً من معانيها الذي هو معنى الاستعلاء.

ب-4: حرف " اللام ":

لها عدة معانٍ، ومنها: الملك، والتبيين، والتعليل، والسببية، والاختصاص، والاستحقاق... (ابن هشام، 2007م، صفحات 205-206)

وفي هذا الحرف الذي من معانيه الاختصاص، نجد الإمام المغيلي يقول في (اللام) الموجودة في ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ (الفاتحة، الآية 02) موضحاً: « وعليه يكون المعنى: الحمد لله الذي حمد الله به نفسه كائنٌ له؛ أي مختصٌّ به لا ينبغي لغيره؛ لأنّ اللام هنا للاختصاص » (خديرو، 2013م، صفحة 22)؛ وإن كانت هناك معانٍ تصحب الاختصاص، والتي منها الاستحقاق؛ باعتبار أن لام الاستحقاق كما يرى ابن هشام: « هي الواقعة بين معنى وذات، نحو ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ » (ابن هشام، 2007م، صفحة 205)، وبالتالي فإن (اللام) هنا للاختصاص الذي هو أصل في (اللام)، مع إفادة معنى الاستحقاق.

ب-6: حرف "كي":

وتكون للتعليل بمعنى اللام، وهي حرف جر في مذهب الأخفش. (المرادي، 1983م، صفحات 261-264)

ونجد هذا النوع من حروف الجر في تراث الإمام المغيلي لما يقول: « وفي الحرف متعلّق معناه... والمراد متعلّق معنى الحرف ما يعبرّ به عند تفسير معانيه، كقولك:... (كي) معناه الغرض... والغرض... ليست من معاني الحروف، وإلاّ لما كانت حروفاً؛ لأنّ الاسمىة والحرفية إنّما هي باعتبار المعنى، وإنّما هي متعلّقات معانيها ». (المغيلي، 2010م، صفحات 286-287)

ج-: أحرف التّمني:

وهي في "ليت، ولو، وهل"؛ ف (ليت) موضوعةٌ للتّمني، وهو طلب ما لا طمع فيه كطلب المستحيل مثلاً، أو ما فيه عُسرٌ في الحصول عليه، فالأول: ليت الشباب يعود يوماً، والثاني: ليت الجاهل عالم.

وأما (لو)، و(هل) فقد تفيدان التّمني لا بأصل الوضع؛ باعتبار أن الأولى شرطية والثانية استفهامية؛ ففي إفادة التّمني في (لو) مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء، الآية 102)، وفي مثل قوله تعالى -أيضاً-: ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ (الأعراف، الآية 53) بخصوص إفادة التّمني في (هل) (الغلايني، 2013م، صفحات 606-607).

وفي هذا النوع من حروف المعاني الذي هو أحرف التّمني نجد الإمام المغيلي هو الآخر تحدث عن الحروف الثلاثة للتّمني، ومنها حرف (ليت) الذي اعتبر أن التّمني بالطلب بهذا الحرف يمكن الحصول أو تمتنع الحصول، حيث نجده يوضّح قائلاً: « التّمنيّ طلبُ حصول شيءٍ على سبيل المحبة مع عدم التّوقُّع والطّماعية في وقوعه، سواءً كان حصوله ممكناً؛ كـ "ليت زيداً يأتي"، أو ممتنعاً؛ كـ "ليت الشباب يعود". واللفظ الموضوع له "ليت" » (المغيلي، 2010م، صفحات 190-191)

كما أن الإمام المغيلي يوضّح إفادة التّمني بـ (هل) التي هي من الاستفهام، غير أن هناك فرقاً بين التّمني بـ (ليت) والتّمني بـ (هل) في أن الثانية تفيد الجزم أو القطع لا الحمل على الاستفهام، وأما الأولى فلا تفيد القطع باعتبار إمكانية حصول الممكن في النص القرآني المستشهد

به، الذي جاء التمني فيه ب (هل) أفضل وأبلغ من التمني ب (ليت)، وفي ذلك يوضح الإمام المغيلي قائلًا: « وقد يُتَمَنَّى ب (هل) نحو ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ ﴾ (الأعراف، الآية 53) حيث يعلم أن لا شافع، لأنه حينئذ يمتنع حملُه على الاستفهام لحصول الجزم بانتفائه. والنكتة في العدول عن "ليت" إبرازُه في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه إظهاراً لكمال العناية به ». (المغيلي، 2010م، صفحة 191)

وأما عن التمني ب (لو) فنجد الإمام المغيلي يضيف قائلًا: « وقد تُمَنَّى ب (لو) -أيضا- كقولك: " لو تأتيتني فتحدثني " بالنصب؛ لأن النصب قرينة تدلُّ على أنها ليست على أصلها، أو لا يُنصب المضارع المجاب به إلا في جواب ستة أشياء (ابن مالك، 1990م، ج4، صفحة 26). والمناسب للمقام التمني، لأنه كما يفرض ب (لو) غير الواقع واقعاً، كذلك يطلب ب (ليت) وقوعها للطماعة في وقوعه » (المغيلي، 2010م، صفحات 191-192)؛ أي لا يصح في المثال المستشهد به إلا دخول عليه حرف التمني (لو) ليتناسب مع سياق المقام.

د-: حرف التَّرجي والإشفاق

وهو في حرف (لعل)، حيث يقول الغلابيني عن هذه الحرف: « وهي موضوعة للترجي والإشفاق؛ فالتَّرجي: طلب الممكن المرغوب فيه، كقوله تعالى: ﴿ لَا تَذَرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ (الطلاق، الآية 01). الإشفاق: هو توقُّع الأمر المكروه، والتخوُّف من حدوثه، كقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ ﴾ (الكهف، الآية 06) » (الغلابيني، 2013م، صفحة 607).

وهي أحد الأحرف المشبهة بالفعل، ناصبة للاسم، ورافعة للخبر، بينما في لغة عقيل هي حرف جر. (المرادي، 1983م، صفحات 579-583)

ونجد من معاني (لعل) في تراث الإمام المغيلي معنيي الترجي والإشفاق، حيث يقول عن التَّرجي: « وفي الحرف لمتعلِّق معناه... والمراد لمتعلِّق معنى الحرف ما يعبَّرُ به عند تفسير معانيه، كقولك:... (لعل) معناه التَّرجي... والتَّرجي ليست من معاني الحروف، وإلا لما كانت حروفاً؛ لأن الاسمية والحرفية إنما هي باعتبار المعنى، وإنما هي مُتعلِّقاتُ معانيها » (المغيلي، 2010م، صفحات 286-287)؛ أي في مثل قولنا: " لعل الله يغفر لنا".

وأما عن إفادة معنى الإشفاق فنجدّه يوضّح في تمييزه بين هذا المعنى والترجي قائلاً: « إن الترجي طلبُ شيءٍ لا وثوقٌ في حصوله مع الطماعية فيه... ويدخل في الترقب الطمع والإشفاق؛ فالطمع ترقب المحبوب، والإشفاق ترقب المكروه. وبهذا ظهر أن الترجي ليس بطلب «(المغيلي، 2010م، صفحة 192)؛ أي أن الترجي ترقب أمر محبوب مرغوب فيه، وأما الإشفاق فهو توقّع أو ترقّب أمر مكروه.

3- خاتمة:

- اهتمام الإمام المغيلي بعلم اللغة، وجعله الأساس الأول في معرفة معاني الكلمات، أو فهم حكم من الأحكام.
- يعد الإمام المغيلي من علماء التراث اللغوي الجزائري الذين أثروا الساحة العربية والإفريقية بمؤلفاتهم القيمة المختلفة المعارف والعلوم بلا منازع.
- اهتم الإمام المغيلي بالدلالة النحوية أيّما اهتمام، ومن ذلك محاولة الوقوف على دراسة حروف المعاني في التراكيب المختلفة وإبراز تلويناتها الدلالية التي يقتضيها السياق .
- عناية الإمام المغيلي بالسياق الذي يعد الأساس في الكشف عن الدلالات المختلفة المحتملة لحروف المعاني.
- أرجع الإمام المغيلي تنافر الحروف في الكلمة الواحدة إلى الذوق السليم في الاستعمال، وأنه لا عبء بقرب المخارج أو تباغدها، ولأى صفات الحروف، وذلك دأبه في عنايته بالدلالة الصوتية.
- نبّه الإمام المغيلي إلى قضية النظم في التركيب، وأن معرفة معنى الكلمات متوقف على معرفة كيفية الحكم ببعضها البعض.
- أولى الإمام المغيلي أهمية بالغة إلى قضية تضافر القرائن اللفظية والمعنوية، كما لا يمكن استغناء أحدهما عن الأخرى في تحديد المعنى النحوي للتراكيب.
- اهتم الإمام المغيلي بجانب الإعراب؛ إعراب مفردات وجمل، معتبراً أن الإعراب من شأنه أن يساهم في إيضاح الدلالات أو بيان مقاصد الكلام.

قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم

- 01- ابن قيم الجوزية، (1426هـ-2005م)، بدائع الفوائد، خرّج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد، القاهرة، مصر، مكتبة الصفا، ط1.
- 02- أبو العباس المبرد، (دت)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، بيروت، عالم الكتب.
- 03- أبو عبد الله جمال الدين بن مالك، (1410هـ-1990م)، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، مصر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.
- 04- أحمد بن عبد النور المالقي، (1423هـ-2002م)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أ.د. أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، ط3.
- 05- أحمد بن فارس زكرياء، مقاييس اللغة، (1399هـ-1979م)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دمشق، دار الفكر.
- 06- جمال الدين بن منظور، (1414هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3.
- 07- جمال الدين بن هشام، (1428هـ-2007م)، مغني اللبيب، حققه وعلّق عليه د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 08- الحسن بن قاسم المرادي، (1403هـ-1983م)، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق د. فخر الدين قباوة، وأ. محمد نديم فاضل، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2.
- 09- حسن عباس، (2000م)، حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- 10- محمد بن عبد الكريم المغيلي، (2013م)، إمناح الأحباب في شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب، تحقيق: د. رضا رامور، منشور ضمن مجموع مشتمل على، الجزائر، وزارة الثقافة، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث.
- 11- محمد بن عبد الكريم المغيلي، (1427هـ-2006م)، لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب، تحقيق وتقديم وتعليق أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، ط1.
- 12- محمد بن عبد الكريم المغيلي، (2013م)، تفسير فاتحة الكتاب، تحقيق د. المغيلي خدير، الوادي، الجزائر، مطبعة منصور، ط1.

- 13- محمد بن عبد الكريم المغيلي، (2013م)، تفسير سورة الفاتحة، تحقيق د.علال بوريق، المنشور ضمن شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث.
- 14- محمد بن عبد الكريم المغيلي، (2010م)، شرح التبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق: د.أبو أزهر بلخير هادم، بيروت، لبنان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1.
- 15- مصطفى الغلاييني، (2013م)، جامع الدروس العربية، عنى بمراجعته وتنظيمه د.إبراهيم قلائي، عين مليلة، الجزائر، دار الهدى.
- 16- عباس حسن، (د ت)، النحو الوافي، مصر، دار المعارف، ط3.
- 17- عبد السلام طويلة، (1431هـ-2010م)، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، مصر، دار السلام للطباعة والنشر، ط3.
- 18- يوسف بن علي السكاكي، (1407 هـ - 1987م)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية ط2.